المنهج الجينيالوجي فريدريك نيتشه: (1844_ 1900)

تمهيد:

فيلسوف نيتشه، أو فريدريش نيتشه، هو أحد أبرز الفلاسفة الألمان في القرن التاسع عشر وأحد أهم الفلاسفة في تاريخ الفلسفة الغربية بشكل عام. وُلد نيتشه في 15 أكتوبر 1844 في بلدة روكين، بمقاطعة ساكسونيا في ألمانيا، وتوفي في 25 أغسطس 1900.

تأثرت أفكار نيتشه بتجاربه الشخصية وبالتجارب الثقافية والفكرية في عصره. كانت أعماله تتناول مواضيع عدة منها: الأخلاق، والدين، والسياسة، والفن، وعلم النفس. يُعتبر نيتشه أحد أهم المفكرين في تأسيس الفلسفة الحديثة.

1858 التحق بمعهد "بفورتا" وغادر بعد ذلك إلى جامعة بون بعد ستة سنوات انتقل من دراسته للاهوت إلى دراسة اللغويات والآداب الكلاسيكية ظل هناك أربع سنوات مع أستاذه " "ريتشل" عندما أنهى دراسته الجامعية أصبح أستاذا لفقه اللغة في جامعة بازل بعد توصية من ريتشل الذي وصفه بالعبقري أنذاك هنا بدأت مرحلة الأستاذية.

هنا بدأ ملامح تفكيره تتضح من خلال مصدرين أساسيين هما شوبنهاور وفاغنر. حضر نتشه الحرب الألمانية الفرنسية وأصيب بالمرض خلالها واعترف بأن الألمان هم الذين بدأوا ذلك العدوان كانت آنذاك أولى محاضراته لم تلقى نجاحا في الجامعة خاصة في تخصص فقه اللغة، واشتد عليه المرض وكان أول مؤلف له أنذاك هو "**ميلاد المأساة من الموسيقى**".

كان في هذه الفترة مدينا ووفيا لأساتذته الذين تأثر بهم شوبنهاور وفاغنر وسيكتب كتاب حول ذلك "عنوانه خواطر في غير أوانها" بدأ ينقطع عن الجامعة يطوف في بلدان العالم إيطاليا سويسرا هنا بدأت فترة التأليف العقلي والنقدي بدأ يوجه نقد إلى كل مقومات العصر في كتاب عنوانه "**أمور إنسانية، إنسانية إلى أقصى حد**" في جزئين الجزء الأول سنة 1872 والثاني سنة 1879، وظهر كتاب **الفجر** ثم جاءت فترة التأليف الخصب وظهر مؤلفات أخرى مثل **العلم المرح** 1882، **هكذا تكلم زرادشت** سنة 1885، بمعزل عن الخير

والشر سنة 1885، جينيالوجيا الأخلاق 1887، ثم ظهر أشهر مؤلف له يوضح فلسفته أكثر عنوانه **إرادة القوة** 1888 وظل يؤلف بغزارة حتى نهاية حياته أضاف رسالتين حول فاغنر لوحده، ونتشه ضد فاغنر، وانتهت مرحلة التأليف بالنسبة له بمؤلف عنوانه "**هو ذا الرجل** " وفيه يوضح شخصيته.

1_ اتجاهه:

_ في فلسفته، اتبع نيتشه منهجًا تفكيريًا مميزًا يركز على فهم الإنسان وتجاربه الحيوية، ويعتمد على مزيج من التحليل النفسي والتأمل الفلسفي والتجريب الذاتي. يمكن تلخيص منهج نيتشه في المعرفة على النحو التالي

_ تأمل في الطبيعة البشرية: يركز نيتشه على دراسة الطبيعة البشرية والعوامل التي تؤثر عليها، مثل الإرادة والقوة والشهوة والاندفاعات الغريزية

_ يقوم نتشه بتحليل القيم التقليدية والمعتقدات الدينية: استكشاف للقيم الثقافية والدينية ويسعى إلى فهم جذورها وتأثيرها على الفرد والمجتمع

_ تحليل للسلطة والسيطرة: يدرس نيتشه ديناميكيات السلطة والسيطرة في المجتمع وكيفية تأثيرها على حياة الأفراد وتشكيل معتقداتهم وقيمهم

_ الاهتمام بالفرد وتجاربه الحيوية: يركز نيتشه على أهمية فهم الفرد وتجاربه الحيوية كمصدر للحكم والمعرفة، ويشجع على التفكير الإبداعي والمخاطرة في التجربة الذاتية
_التشكيك في الحقائق المطلقة: يعترض نيتشه على الفكرة الكلاسيكية للحقائق المطلقة ويعزز فكرة الانفتاح والاستمرارية في التفكير والتجربة.

من خلال هذا المنهج، يسعى نيتشه إلى تحقيق فهم عميق للإنسان والعالم وتحفيز الفرد على استكشاف ذاته وابتكار قيم جديدة تتناسب مع تجاربه الحيوية الفريدة

2_ فلسفته:

إذا كنا نعني بالفيلسوف أنه صاحب المذهب فإننا نصادف معارضة شديدة من قبل نتشه ذلك أنه فيلسوف يعارض فكرة المذهب كون أن المذهب هو تعبير عن نظرة جامدة ليس لها معنى متعلق بالعالم، هكذا وجه نتشه حملته لأصحاب المذاهب، هو فيلسوف يود بفلسفته الابتعاد عن الجمود الفكري، ليواكب التطور والتجديد الذي يساير الحياة الاجتماعية في نموها، إنها فلسفة فكرية صرفه، خالية من التجارب الواقعية المثيرة (كامل، 1935)،

ينقسم فكر نيتشه إلى مراحل ثلاث:

1_ مرحلة فنية رومانتيكية، تمتد من 1869 إلى 1876 وهي المرحلة التي كان نيتشه فيها واقعا تحت تأثري شوبنهاور وفاغنر، وتنتهي بتخصصه منهما .

2_ مرحلة وضعية نقدية، وتمتد من 1876 إلى 1882 وفيها تميَّز تفكر نيتشه بالتأثر بالمنهج العلمي، بعد أن تخلص من المؤثرات الرومانتيكية السابقة، وتلك هيٍ المرحلة التي حرص فيها نيتشه على أن يوجه أعنف نقد إلى مقومات الحياة الإنسانية في العصر الحديث

3_ مرحلة صوفية خالصة، تبدأ من كتاب زرادشت في 1883 وتستمر حتى 1888 وفيها يتميز تفكر نيتشه بالاستقلال التام، ويسري في طريقه الخاص، ويتخذ أسلوبه شكل التدفق الصوفي، لا التحليل النقدي فلنحلل إذن العناصر الرئيسية لكل فترة من هذه الفترات، حتى نصل إلى العنصر المشترك بينها.

1_ المرحلة الفنية الرومانسية 1869_ 1876

في هذه المرحلة، كانت تأثيرات شوبنهاور وفاغنر واضحة جدًا في فلسفة نيتشه. كانت هذه الفترة تمثل فترة رومانسية لينتشه، حيث كان يتأثر بالجماليات والعواطف العميقة.

تميزت هذه المرحلة بالبحث عن الجمال والمعنى العميق في الحياة. كانت أعماله في هذه الفترة تتسم بالشغف والإلهام الشديدين، كانت فلسفته تركز على المفاهيم الروحية والإنسانية، وكان يبحث عن معنى الحياة والقيم الروحية.

2_ المرحلة النقدية 1876 – 1882

في هذه المرحلة، بدأت تظهر تأثيرات المنهج العلمي على فلسفة نيتشه. بدأ يتخلص من الرومانسية ويتجه نحو التحليل النقدي والمنهج العلمي.

تميزت هذه المرحلة بالنقد اللاذع لمقومات الحياة الإنسانية في العصر الحديث، مثل الدين والأخلاق التقليدية والسلطة.

كانت أعماله في هذه الفترة تسلط الضوء على تحليل القيم والمفاهيم الاجتماعية والثقافية بشكل حاد.

3_ المرحلة الصوفية 1883_ 1888

في هذه المرحلة، بدأ نيتشه يتجه نحو الاستقلال التام والتفكير بشكل فلسفي أعمق. تميزت هذه المرحلة بالتركيز على الفلسفة الشخصية والتطوير الذاتي.

اعتمد نيتشه في هذه الفترة على أسلوب التدفق الصوفي، حيث كان يبحث عن الحقيقة العميقة والوصول إلى الحكمة الروحية.

تناولت أعماله في هذه الفترة مواضيع مثل الإرادة القوية والفردية، وتطوير الذات، والبحث عن الهوية الحقيقية، العنصر المشترك بين هذه المراحل هو أنه على الرغم من تباين المراحل الثلاثة، فإن العنصر المشترك بينها هو التطور التدريجي لفلسفة نيتشه ونضوجها. رغم التغيرات في الأسلوب والتركيز، إلا أنها جميعًا تمثل محطات في رحلة تطور فلسفته نحو تحقيق التفاهم العميق للحياة والإنسان.

1_ القيم عند نتشه:

يا ترى ما هو مصدر القيم عند نتشه؟ إن خالق القيم هو الإنسان. وليس لها خارج الفاعلية الإنسانية أي كيان واقعي؛ فالإنسان هو الذي أضفى على الكون كل ما فيه من معنى، ويظن مع كل ذلك أنه قد اهتدى إلى ذلك المعنى فحسب: "الحق أن الناس قد أعطوا أنفسهم كل خريهم وشرهم. والحق أنهم لم يتلقوه، ولم يجدوه، ولم يهبط إليهم من السماء"

ولو أدرك الإنسان عن وعي أنه هو خالق هذا البناء الشامخ من القيم، لعمل على تحقيق هذه الغايات التي يريدها لنفسه تحقيقًا واقعيا، وازدادت ثقته بنفسه، وبقدرته المبدعة ولكنه في واقع الأمر ينكر ذلك، ويوهم نفسه أنه قد وجد هذه القيم فحسب، وأنها هناك مفروضة على الأشياء بالرغم عنه. فإذا ما أحس بأنها في وجودها مستقلة عنه، فلن يحاول أن يغري منها شيئًا، بل سيبقيها على حالها، وسيقبل الأمور على ما هي عليه (فؤاد كامل 54)

وهكذا يتبني لنا أن إرجاع القيم إلى الإنسان عند نيتشه لا يعبر عن نزعة ذاتيَّة أو صوفيَّة، بل هو في واقع الأمر دعوة صريحة للإنسان كي يمارس فاعليته على أوسع نطاق ممكن. فلن يقف في وجه هذه الفاعلية شيء إذا تبني أن العالم لا يحمل معنًى ثابتًا، وأن في وسع الإنسان أن يُضفي عليه بمجهوده الخاص من المعاني ما يشاء، مثلما أضفى عليه من قبل معناه القديم، دون وعي منه، ثم ثبته وقدسه.

والقوة التي تدفع الإنسان إلى إضفاء قيم معيَّنة على الأشياء، هي الحياة، فكل تقويم إنساني إنما يستهدف نفع الحياة في آخر الأمر. ولن يستطيع المرء أن يستقر في آخر الأمر على معنى معين لكلمة «الحياة» عند نيتشه، وهل يعني بها النفع الحيوي للنوع، أم امتلاء الحياة الفردية، والحق أن لكل من الرأيين أنصاره الذين يمكنهم أن يجدوا لرأيهم شواهد تؤيده من نصوص نيتشه في كلتا الحالتين. وعلى أية حال فليس يعنينا هنا أن تُفهم آراء نيتشه في هذا الصدد بمعنًى تطوري أو بمعنًى وجودي، وحسبنا أنه أرجع القيم إلى الأرض، وإلى الإنسان، وإلى القوة الفعالة في الإنسان؛ أعني الحياة.

فما هو الهدف الذي كان نيتشه يرمي إليه من دعوته إلى انقلاب شامل في القيم؟ نستطيع أن نقول إن دعوته هذه كانت هي الخطوة الأساسية الأولى، التي لا يمكن أن تقوم ثورة عقلية أو علمية بدونها؛ فالقول بنسبية القيم يفتح أمامنا السبيل إلى محاولة تغييرها، ولا يجعل هذا التغيري أمرا مستحيلا، كما كان الحال في النظرة القديمة المطلقة، وأن أي سعي إلى تغيري الأوضاع التي يحيا عليها الناس، سواء في المجال الفكري وفي المجال الاجتماعي، إنما يفترض مقدًما إيمانهم بأن المعايير التي يقيسون بها الأمور ليست معايير

أزلية ثابتة، فرضت عليهم بقوة لا سلطان لهم عليها وإنما هي معايري صنعها الإنسان لهدف معين، وفي وسعه أن يُبدلها إذا شاء أن يضع لنفسه هدفًا آخر وهذه الدلالة السلبية لنظرية نيتشه في القيم هي في رأينا أقوى من أية دلالة إيجابية؛ ذلك لأنه حين ينتقل إلى الجانب الإيجابي، وحين يوضح الهدف الذي يرمي إلى تحقيقه من انقلابه في القيم، يُنادي بآراء يرفضها اليوم كثير من الناس، ولا يستطيع باحث منصف أن يقبلها على علاتها. ومع ذلك، فإذا كان نيتشه قد أخطأ طريق الإصلاح، فحسبه أنهَّ مهد هذا الطريق من قبل، ووضع الأسس التي لا يكون الإصلاح بدونها ممكنًا؛ أعني أنه نبهنا إلى أن معاييرنا إنسانية.
فلنرفض معاييره الجديدة إذا شئنا، ولكن لنذكر له دائما هذا الفضل، وهو أنه فتح أمامنا سبل التجديد في فهمنا العقلي للعالم وسلوكنا الفعليَّ فيه، وذلك حين مجد قدرتنا الإنسانية على الخلق والإبداع، وأزاح كل ما كان يقف أمام فاعلية الإنسان من عقبات.

2_ المعرفة والحياة:

في فلسفة نيتشه، ترتبط المعرفة والحياة بشكل لا يتجزأ، حيث يؤمن بأن التجربة الشخصية هي أساس فهم العالم والحياة.

يشدد نيتشه على أهمية التحرر من القيود العقلانية التقليدية واستكشاف الحياة بمرونة وتجدد.

3_ الأخلاق:

ينظر نيتشه إلى الأخلاق بنظرة نقدية، معتبرًا أن القيم الأخلاقية يمكن أن تكون محدودة ومعقدة ومتغيرة في فلسفة نيتشه، يقدم تباينًا ملحوظًا بين أخلاق "السادة" وأخلاق "العبيد" يستخدم نيتشه هذه الألفاظ ليشير إلى نمطين مختلفين من القيم والأخلاق والتصورات حول الحياة والقوة والفضيلة إليك تفصيلًا عن كل منهما:

1. أخلاق السادة:

يربط نيتشه أخلاق السادة بالفكرة الأرستقراطية للقوة والعزة والاستقلال.

يعتبر السادة هم الأفراد الذين يتمتعون بقوة الإرادة والإبداع والقدرة على تحقيق ذواتهم دون الاعتماد على أفكار الآخرين.

تعتبر القيم مرتبطة بالشجاعة والاستقلالية والقوة الفردية. يعتبر نيتشه أن السادة يقومون بتشكيل قيمهم الخاصة بناءً على تقديرهم الشخصي للحياة والواقع.

2. أخلاق العبيد:

يشير نيتشه إلى أخلاق العبيد بأنها نتاج الثقافة التقليدية والتبعية للسلطة والمجتمع.

يعتبر العبيد هم الذين يعيشون تحت سلطة الآخرين ويقومون بتبني قيم ومعتقدات تمليها عليهم السلطة السائدة.

تعتبر القيم المرتبطة بالانقياد والانضباط والخضوع. يرى نيتشه أن العبيد يعتمدون على القيم التقليدية ولا يمتلكون القدرة على تشكيل قيمهم الخاصة.

نيتشه ينتقد بشدة أخلاق العبيد، معتبرًا أنها تقوم على التقيد بالقيم التقليدية وتعيق قدرة الفرد على التحرر والتطور الشخصي. بالمقابل، يثني على أخلاق السادة التي تعتمد على القوة الفردية والاستقلالية في تحديد قيم الحياة وتحقيق الذات.

يدعو إلى اكتشاف القيم الشخصية وتحديد ما إذا كانت تتماشى مع مسار الحياة الفردي لكل شخص بدلاً من اعتبار القيم العامة القائمة.

4_الدين:

يعتبر نيتشه الدين عائقًا أمام تحقيق الإنسان لكامل إمكانياته، ويدعو إلى تحرير الإنسان من القيود الدينية وتحقيق الحرية الشخصية.

ينظر إلى الدين بنظرة نقدية ويعتبر أن القيم والمفاهيم الدينية قد تكون مقيدة ومحدودة.

5_ العود الأبدي:

تعكس فكرة العود الأبدي في فلسفة نيتشه الدور المتكرر للأفكار والقيم في التاريخ، مع التأكيد على التطور والتغيير مع مرور الزمن.

يشير إلى أن الأفكار والقيم قد تعود مرارًا وتكرارًا بتشكيلات مختلفة في الحضارات المختلفة، مما يوضح التطور المستمر في الفهم والتفكير البشري عند نتشه.

من هنا يتضح أن فلسفة نيتشه تمثل تحديًا للتقاليد الفلسفية السائدة في عصره، وهي تتناول مجموعة متنوعة من المواضيع بما في ذلك المعرفة، الحياة، القيم، الدين، والفن. ومن خلال فلسفته، يقدم نيتشه رؤية فريدة للإنسان والعالم، تركز على أهمية الحرية الشخصية وتحقيق الذات.

خاتمة:

في ختام فلسفة نيتشه، يمكن تلخيص مجموعة من النقاط:

_ التحرر من التقاليد: نيتشه يدعو إلى تحرير الفرد من القيود التقليدية، سواء كانت ذهنية أو مجتمعية، وذلك لتمكينه من تحقيق إمكاناته الحقيقية.

_ البحث عن المعنى: يشجع نيتشه على استكشاف الحياة بشكل مستقل والبحث عن المعاني العميقة وراء الظواهر السطحية.

_ تأكيد القوة الشخصية: يركز نيتشه على أهمية قوة الإرادة والقوة الشخصية في تحديد مصير الفرد وتشكيل حياته.

_ ابتكار القيم: يدعو نيتشه إلى إبداع قيم جديدة تتسم بالشجاعة والفرادة والإبداع، بدلاً من الانحياز إلى القيم التقليدية التي قد تكبل الإنسان.

_تحقيق الجمال: يؤمن نيتشه بأهمية الفن والجمال في تحقيق النمو الروحي وتعزيز الحياة الإنسانية.

بهذه النقاط الختامية، يبرز تأثير نيتشه في فلسفة الحياة والفهم البشري، مما يجعله واحدًا من أهم الفلاسفة الذين تركوا بصمتهم في التاريخ الفكري والثقافي.